الحقبة لتعمل على استغلال ثمار خروج م.ت.ف. من بيروت، مما ادى الى تعزيز التحالف مع اسرائيل. لكن سحلية لا يتطرق الى احتمال قيام الرئيس الاميركي رونالد ريغان بعرض مبادرته للسلام في ايلول (سبتمبر) ١٩٨٢، بهدف محدد هو استباق و «تنفيس» المشروع الفرنسي ـ المصري المعروض على الامم المتحدة، مما يدل على الرفض الاميركي لايجاد حل نهائي.

اما الموقف السوفياتي، فقد تميز بالتمهل و«العقلانية»، الذي يرده المؤلف الى ضعف الموقف العربي، سياسياً وعسكرياً، مما حجب الحجة، والفرصة، لتدخل سوفياتي فاعل. واذ يلاحظ المؤلف ان م.ت.ف. لم تمثل طرفاً اقليمياً هاماً الى درجة تستوجب تحركاً سوفياتياً لانقاذها، مما يوضح طبيعة الرؤية السوفياتية للمنطقة والعالم، فإنه لم يجد في المواقف والكفاءات الميدانية العربية ما يشجع احداً على المجازفة بمواجهة مع اسرائيل والولايات المتحدة.

وبرز الموقف السياسي والانساني لغالبية الدول الاوروبية، على المستويين الرسمي والشعبي، بقوة اكبر، مقارنة بالعداء الاميركي والتلكؤ السوفياتي. فقد تحركت فرنسا دبلوماسياً على اكثر من صعيد، بينما تحركت دول وكتل اوروبية اخرى ببيانات تؤيد الحقوق الفلسطينية وتنتقد اسرائيل بشدة.

يستكمل سحلية عرضه للردود المباشرة على الاجتياح الاسرائيلي للبنان بالتطرق، في الفصل الثالث، الى مبادرتين سياسيتين بارزتين، هما: مبادرة ريغان ومشروع فاس. ويعتقد المؤلف بأن دوافع الرئيس الاميركي كانت متعددة، اهمها استغلال اضعاف م.ت.ف. لتجديد طرح «الخيار الاردني»، على امل تليين التصلب الاسرائيلي. كما امل ريغان، في رأي سحلية، في ان يقدم اشارة حسن نية الى العرب، وخصوصاً قبل انعقاد مؤتمر القمة العربية المرتقب. ولعل المؤلف يصيب في تقويم العوامل التي اثرت في صنع القرار في الادارة الاميركية، ومنها محاولة تخفيف حدة الانتقادات الاميركية الداخلية لاسرائيل وتشجيع الاطراف «المعتدلة» الاسرائيلية، لكنه يغفل الاحتمال القوي المتمثل في ان مبادرة ريغان لم يقصد منها انجاز اي تحرك حقيقي نحو السلام العادل، بل، فقط، ان تحتوي وتزيل الشوائب التي اصابت الاستراتيجية الاميركية والمكانة الاسرائيلية خلال صيف ١٩٨٢. بل ويضاف الى ذلك ترجيح بعض المراقبين ان ريغان لم يخرج بمبادرته الا حين شعرت ادارته بضرورة استعادة السيطرة على المجريات الدبلوماسية، وتحديداً قبل ان تستولي اطراف اخرى على المبادرة السياسية لتقدم حلولاً وبدائل عملية. واذ يفسر ما سبق الصمت الذي سرعان ما ساد في البيت الابيض حول مشروع ريغان، فور زوال خطر المبادرات السياسية المنافسة، فانه يفسر، ايضاً، تفوُّه المسؤولين الاميركيين، عند عرض المبادرة، وللمرة الاولى، بعبارات «الحقوق الفلسطينية» و «دور م.ت.ف. في المسألة الفلسطينية». و على الرغم من ان الامر وصل بريغان وجورج شولتس حد الاقرار بوجود حقوق فلسطينية مشروعة، الا ان ذلك لم يعكس تبديلاً بالقناعات، بل استجابة لالحاح الوضع السياسي المتدهور فحسب.

جاءت ردود الفعل متنوعة على مبادرة ريغان. فقد لاقت تجاوباً في مصر والاردن، على الرغم من التحفظ حيال التشديد المبالغ فيه على أمن اسرائيل وتأكيد دور م.ت.ف. المركزي. وردت سوريا بالرفض الواضح، بينما اتخذت م.ت.ف. موقفاً وسطاً، فاعتبرت المشروع غير كافٍ ولكنه صالح للتطوير. اما اسرائيل، فقد رفضت افكار ريغان فوراً، علماً بأن البعض ايدها، على عكس الوضع الاميركي، حيث ايدت الاكثرية المبادرة في وجه قلة من المنتقدين. واذا مات مشروع ريغان عند ذاك، عملياً، الا انه ساعد في اجهاض المشروع العربي البديل الصادر عن قمة فاس. فلم يلق ذلك المشروع الجهد الدبلوماسي المنسق والمتواصل كي يستثمر العرب نتائج الحرب، وليحركوا اوروبا ويعزلوا اسرائيل ومؤيديها الاميركيين. ويوضح سحلية، من خلال عرض تطور النقاش العربي الداخلي حول الخطط السلمية، بذور الصراع السوري ـ الفلسطيني، والفلسطيني ـ الفلسطيني.

ثلاثة مسارات متوازية

ينتقل المؤلف، بعد الانتهاء من عرض التطورات السياسية والدبلوماسية التي مهدت لمرحلة ١٩٨٣ ـ ١٩٨٥ في تاريخ م.ت.ف. الى الجزء الثاني لمناقشة القضايا والاحداث الرئيسة التي شهدتها الساحة الفلسطينية